

مما حدا بعلماء لغة النص إلى تلافى هذا القصور في دراستهم للنص، «ويتضح ذلك من تحليل فنديك حين يقول: في كل الأنحاء السابقة على نحو النص وصف للأبنية اللغوية، ولكنه لم يعن بالجوانب الدلالية عناية كافية؛ مما حدا بعلماء النص يرون أن البحث الشكلي للأبنية اللغوية ما يزال مقتصرأ على وصف الجملة، بينما يتضح من يوم إلى آخر جوانب كثيرة لهذه الأبنية وبخاصة الجوانب الدلالية، لا يمكن أن توصف إلا في إطار أوسع لنحو الخطاب أو نحو النص»^(٧).

كما أهمل (نحو الجملة) السياق الاجتماعي، وهو سياق على قدر كبير من الأهمية في الدراسة اللغوية. وقد أكد هذه الأهمية الاتجاه الوظيفي، الذي رأى أن اللغة «عبارة عن وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع؛ للتوصل إلى أهداف وغايات»^(٨)، كما أكد أهمية هذا السياق وغيره من سياقات، مدرسة لندن التي «عرفت بما يسمى بالمنهج السياقي Contextual approach أو المنهج العلمي Operational approach وكان زعيم هذا الاتجاه Firth، الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة»^(٩) مما حدا بعلماء لغة النص إلى الاهتمام بهذا السياق، وما يتصل به من أمور تتعلق بمنهج النص ومستقبله والمحيط الثقافي والمقاصد والغايات، وهي أمور يشملها مصطلح (مقاييمات *Pregmatics)؛ ومن ثم يجيء تعامل علماء لغة النص مع النص «بوصفه حدثاً اتصالياً Communicative occurrence»^(١٠)، واعتبار محور اللسانيات النصية، هو «كيف تؤدي النصوص وظيفة التفاعل الإنساني Human Interaction»^(١١).

ويوضح الدكتور سعد مصلوح أهمية هذه النقطة (من الجملة إلى النص) واعتبارها للجانبين: الدلالي والمقامي، بقوله: «إن الفهم الحق للظاهرة اللسانية يوجب دراسة اللغة دراسة نصية وليس اجترأ والبحث عن نماذجها وتهميش دراسة المعنى، كما ظهر في اللسانيات البلومفيلدية أول أمرها. ومن ثم كان التمرد على نحو الجملة والاتجاه إلى نحو النص أمراً متوقعاً، واتجاهاً أكثر اتساقاً مع الطبيعة العلمية للدرس اللساني الحديث. إن دراسة النصوص هي دراسة للمادة الطبيعية التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة؛ لأن الناس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب - جملاً أو تتابعاً من الجمل - ولكنها تعبر في الموقف اللغوي الحي من خلال حوار معقد متعدد الأطراف مع الآخرين. ويكثر في هذه الحال تصادم الاستراتيجيات والمصالح وتعقد المقامات. ومثل ذلك نراه في حدث الكتابة حين تتعقد العلاقات بين مكونات الصياغة اللغوية وترتد أعجازها على صدورهما، وتتشابك العلاقات في نسيج معقد بين الشكل والمضمون على نحو يصبح فيه رد الأمر كله إلى الجمل أو نماذج الجمل تجاهلاً للظاهرة المدروسة، ورداً لها إلى بساطة مصطنعة تخل